University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد الخامس – يناير 2016

الاعتراف بالمسيحية زمن الإمبراطور قسطنطين الأول (306-337م)

بين الرمز الديني والتوظيف السياسي والعسكري

د. سعيد محمد سعيد عبدالحفيظ

(عضو هيأة تدريس بجامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية - ليبيا)

الاعتراف بالمسيحية زمن الإمبراطور قسطنطين الأول (306-337م)

بين الرمز الديني والتوظيف السياسي والعسكري

ملخص البحث :

إن هذه الدراسة في جانبها التاريخي تتحدد زمنياً بفترة حكم الإمبراطور قسطنطين الأول (306-337م) وهي الفترة التي تبدو أهميتها في عدة أمور : أولها أنها الفترة التي شهدت تحولاً جوهرياً في التاريخ الإنساني بالانتقال من العالم القديم الوثني إلى العالم الوسيط المسيحي وثانيها لأن قسطنطين هو أول إمبراطور بيزنطي وثني يعترف اعترافاً رسمياً بالديانة المسيحية في وقت عانى فيه سكان الإمبراطورية حالة من الفراغ الديني دفعتهم إلى الاتجاه شطر الأديان الوضعية الوافدة من الشرق مثل ديانة (إيزيس) المصرية و (مثرا Mithra الفارسية و عبادة الشمس(Diessolis وغيرها.

أما الأمر الثالث والأهم في هذه الفترة الزمنية فهو أن الإمبراطور قسطنطين بعد انتصاره على خصمه ماكسنتيوس Maxentius في معركة ميلفيان Milvian بإيطاليا سنة 312م أعلن على الناس _ بحظور المؤرخ إيوزبيوس أن السبب الرئيسي في تحقيق هذا النصر المبين هو ((الصليب)) وهذا ما سوف ندرسه من خلال هذا البحث في روايات المؤرخين والرحالة والكتاب المسيحيين في العصور الوسطى , والذين حاولوا من خلال تأكيد قدرة قسطنطين على الجمع بين زعامته السياسة , وزعامته الدينية للعالم البيزنطي بعد رؤيته للسيد المسيح في منامه الذي شاهد فيه الصليب يتلألأ في السماء وتحته عبارة مرسومة (بهذا سوف ننتصر Tou tw vika)

وهذه الفترة الزمنية وهي فترة حكم الإمبراطور قسطنطين التي شهدت عملية التأصيل المعنوي والمادي لأهمية الصليب في العالم الإنساني المسيحي في العصور الوسطى وبداية العلاقة بين الدولة الوثنية والكنيسة في القرن الرابع الميلادي تلك العلاقة التي وضع قواعدها الإمبراطور قسطنطين ,والذي ولد وعاش وثنياً ومات مسيحياً على المذهب الأريوسي (1)

ومن هنا تأتي أهمية الدراسة التي تناقش اعتراف الإمبراطور قسطنطين بالمسيحية واتخاذ الصليب شعاراًLabarum يجتمع عليه البيزنطيين لمحاربة أعدائه وتوظيفه عسكرياً والالتفاف حوله وهذا ما قام به الإمبراطور قسطنطين لمحاربه خصومه باسم الدين.

المنهج المتبع في الدراسة: أتبعت المنهج التاريخي السردي الوصفي التحليلي , حيث اقتضت طبيعة الدراسة تقسيمها إلى نبذة تاريخية عن الإمبراطور قسطنطين واعترافه بالمسيحية , ثم تناولت مرسوم ميلان الذي اصدرة قسطنطين وزميله في الحكم في الجانب الغربي من الإمبراطورية ليسنتيوس، ويأتي العنوان الثالث باسم الصليب وحروب قسطنطين وبينت فيه استغلال الصليب كرمزفي الحرب وتوظيفه السياسي والعسكري.

الاعتراف بالمسيحية زمن الإمبراطور قسطنطين الأول

Abstract:

This study regarding its historical aspect determined by time-period of the rule of the Emperor Byzantine Constantine I (306-337 (Emperor , it Was the period that seems to be important in several things: Firstly , it was the period that faced a fundamental change in human history by transferring from old world to the medieval Christian time.Secondly: Because Constantine was the first Roman Pagan emperor and confessed formally of the Christian religion at a time when the population of the empire were suffering from a case of religious Emptiness which led them towards the locality coming religions from the east, such as religion (Izis) and Egyptian and (Mitra) the Persian and sun worship and others. The third factor which was the most important in this time period is that the Emperor Byzantine Constantine after his victory over his opponent Maxentius in the Malevan battle in Italy in the year 312 AD. He declared for all people - People declared - in the presence of Euozbius (The historian) – that he main reason in realizing this victory ,was the Cross, which we will study it within this study throughout the narrates of the historians, travellers and the Christian authors at the medieval ages , who tried to proof the power of authority overall including his political and religious leadership of the Roman world after his vision to Christ in his sleep whereas he saw the cross glittering at the sky and under his was written the sentence : With this , you will win (Tou tw vika) In this time, which was the period of Emperor Constantine's rule, which revealed moral and material immanence of the importance of the cross in the human world in the Medieval Ages , and the beginning and the beginning of the relationship between the s pagan State and the church in the fourth century, that relationship which Emperor Constantine installed it rules, who was born and lived and died as a Christian Ariusian doctrine. Hence the importance of the study discusses the recognition of Emperor Constantine to Christianity and to adopt the Cross as an emblem combines the Romans to fight their enemies and employing it military and rally around it. This is what Constantine has done to fight his opponents the name of religion. The approach methodology in this study: followed the historical narrative descriptive analytical approach, where nature of the study required its division into a historical paragraph about the Emperor Constantine and the recognition of Christianit . Then it dealt about Milan decree which was issued by Constantine and his colleague in regime at the western side of the empire Icenteos The third Title about the cross and the wars of Constantine which showed the exploitation of the cross as a symbol of the war and employing it in political and military..

الاعتراف بالمسيحية زمن الإمبراطور قسطنطين الأول (306-337م) [1]
بين الرمز الديني والتوظيف السياسي والعسكري

مقدمة :

ليس في التاريخ ما هو أعظم أثرا في النفس من التمسك بالمعتقد الديني , ولاسيما في تاريخ العصور الوسطى يكاد يكون أعظم القوى في تلك العصور , وليس من السهل أن ندرك حق الإدراك ما كان في تلك العصور من فوضى وعوز , هما اللذان شكلا عقائد الناس , وقد بدا من البداهة أن لا سبيل إلى السيطرة على الدوافع البشرية الوحشية إلا بقانون أخلاقي تؤيده قوة تعلو على القوى البشرية.

ولقد ارتكزت العصور الوسطى على دعامتين أساسيتين هما: الدين والحرب. أما الدين فقد أوحت به منذ البداية المسيحية التي أُعتبرت الدين الرسمي للدولة في أوربا والأساس الأول للحياة والفكر, وكانت الديانة المسيحية من أهم مميزات العصور الوسطى, والتي جاءت كرد فعل للتاريخ القديم وديانته الوثنية التي كانت تدعو إلى الحرية والانطلاق بحكم تعدد الإلهة.

فماذا عن الصليب من حيث استغلاله كرمز ديني أو توظيفه سياسياً وعسكرياً كما جاء في كتابات المؤرخين والرحالة المسيحيين ؟ إن هذه الدراسة في جانبها التاريخي تتحدد زمنياً بفترة حكم الإمبراطور قسطنطين الأول (306-337م) وهي الفترة التي تبدو أهميتها في عدة أمور : أولها أنها الفترة التي شهدت تحولاً جوهرياً في التاريخ الإنساني بالانتقال من العالم القديم الوثني إلى العالم الوسيط المسيحي وثانيها لأن قسطنطين هو أول إمبراطور بيزنطي وثني يعترف اعترافاً رسمياً بالديانة المسيحية في وقت عانى فيه سكان الإمبراطورية حالة من الفراغ الديني دفعتهم إلى الاتجاه شطر الأديان الوضعية الوافدة من الشرق مثل ديانة (إيزيس) المصرية و(مثرا Mithra) الفارسية و (عبادة الشمس Diessolis) وغيرها.

أما الأمر الثالث والأهم في هذه الفترة الزمنية فهو أن الإمبراطور قسطنطين بعد انتصاره على خصمه ماكسنتيوس Maxentius في معركة ميلفيان Milvian بإيطاليا سنة 312م أعلن على الناس _ بحظور المؤرخ إيوزبيوس أن السبب الرئيسي في تحقيق هذا النصر المبين هو ((الصليب)) وهذا ما سوف ندرسه من خلال هذا البحث في روايات المؤرخين والرحالة والكتاب المسيحيين في العصور الوسطى , والذين حاولوا من خلال تأكيد قدرة قسطنطين على الجمع بين

---

[1] قسطنطين الأول : من اقليم ايلليريا , ولد في بلدة نيش حسب بعض الأراء عام 274م أو 280م , ووالدته تدعى هيلينا التي اشتهرت بقصة العثور على خشبة الصليب ببيت المقدس أثناء حكم قسطنطين , والده قسطنطيوس كان غلاما عند الإمبراطور دقلديانوس 284-305م , ثم عينه دقلديانوس قيصراً على الغرب عندما اتخذ الإمبراطور النظام الرباعي في الحكم , فقرر إرسال إبنه قسطنطين إلى الشرق لكي يكون بصحبة الإمبراطور , وعرف قسطنطين أثنا رحلاته مع الإمبراطور سيادة المسيحية في الأقاليم الأسيوية , وشهد ما تعرض له المسيحيون من اضطهاد على يد الإمبراطور دقلديانوس , ولما تنازل دقلديانوس عن الحكم اصبح رهينة في يد جاليريوس الذي اعقبه على الحكم بالشرق , غير أنه لحق بوالده في الغرب , فلما مات والده عام 306م نادى الجيش بقسطنطين إمبراطوراً فحكم الإمبراطوريةالبيزنطية وانتقل إلى الشرق من عام 306 إلى عام 337م وشيد مدينة القسطنطنية التي حملت اسمه واصبحت عاصمة عام 330م . الباز العريني تاريخ أوربا العصور الوسطى , دار النهضة العربية , بيروت (1968), ص 47

زعامته السياسة , وزعامته الدينية للعالم البيزنطي بعد رؤيته للسيد المسيح في منامه الذي شاهد فيه الصليب يتلألأ في السماء وتحته عبارة مرسومة (بهذا سوف ننتصرTou tw vika)

وهذه الفترة الزمنية وهي فترة حكم الإمبراطور قسطنطين التي شهدت عملية التأصيل المعنوي والمادي لأهمية الصليب في العالم الإنساني المسيحي في العصور الوسطى وبداية العلاقة بين الدولة الوثنية والكنيسة في القرن الرابع الميلادي تلك العلاقة التي وضع قواعدها الإمبراطور قسطنطين ,والذي ولد وعاش وثنياً ومات مسيحياً على المذهب الأريوسي[1]

ومن هنا تأتي أهمية الدراسة التي تناقش اعتراف الإمبراطور قسطنطين بالمسيحية واتخاذ الصليب شعاراً Labarum يجتمع عليه البيزنطيين لمحاربة أعدائه وتوظيفه عسكرياً والالتفاف حوله وهذا ما قام به الإمبراطور قسطنطين لمحاربه خصومه باسم الدين .

المنهج المتبع في الدراسة: أتبعت المنهج التاريخي السردي الوصفي التحليلي , حيث اقتضت طبيعة الدراسة تقسيمها إلى نبذة تاريخية عن الإمبراطور قسطنطين واعترافه بالمسيحية , ثم تناولت مرسوم ميلان الذي اصدرة قسطنطين وزميله في الحكم في الجانب الغربي من الإمبراطورية ليسنتيوس , ويأتي العنوان الثالث باسم الصليب وحروب قسطنطين وبينت فيه استغلال الصليب كرمزفي الحرب وتوظيفه السياسي والعسكري

قسطنطين والاعتراف بالمسيحية:

عانت المسيحية وأتباعها الكثير من الاضطهاد والتعذيب بتشجيع من الاباطرة الرومان أنفسهم [1]وتجلى ذلك في القرون الثلاثة الأولى الميلادية ,حتى ذكر أن الإمبراطور دقلديانوس (284-305م) حين اعتلى العرش عام 284م سمي ذلك العام (بعام الشهداء)[2] لشدة ما اتخذ من إجراءات صارمة بحق المسيحيين [2]وحين اعتزل الإمبراطور دقلديانوس وشريكه في الحكم مكسيميان العرش عام 305م , ارتقى إلى الأغسطسية كل من قسطنطيوس وجاليريوس فانتهج كل منهما سياسة مغايرة للآخر تجاه المسيحيين , فكان قسطنطنيوس متسامحا معهم أما جاليريوس كان رجلا دمويا شديد البأس عليهم لاسيما في الجزء الشرقي من الإمبراطورية [3]

---

(1) المذهب الأر يوسي :نسبة إلى أريوس Ariusأحد قساوسة كنيسة الإسكندرية , الذي أنكر ألوهية المسيح وقال إنه مادام المسيح ابن الله فلابد وأن يكون أقل منه شأنا وأدنى منزلة , وإذا كان الخلود هو صفة الله الذي لا أول له ولا آخر فإن المسيح لا يعد خالدا لأن له بداية , ولهذا فالمسيح ليس إلها ,في حين ظهر أثناسيوس Athanasius وهو ايضا أحد قساوسة كنيسة الإسكندرية ,بأن الابن مساو تماما للإله الأب في المكانة والمنزلة والقدرة بحكم أنهما من عنصر واحد , وأن فكرة الثالوث المقدس : الأب والأبن والروح القدس تدعو إلى اعتبار المسيح إلها لا يقل شأنا عن الإله الأب , وتحتم على ذلك عقد مجمع ديني في نيقية عام 325م , ورأس المجمع الإمبراطور قسطنطين على الرغم أنه لم يكن معمدا لحل المشكلة الدينية , وخرج المجمع بقرار اعتبر فيه المسيح إلها مساويا للأب في المكانة والمنزلة والقدرة وماعدا ذلك غير مقبول ,وتقرر نفي أريوس نفسه .محمد محمد مرسي الشيخ : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية , منشورات جامعة الإسكندرية , ط2 (1997) ص20-22

Runciman : Byzantine Civilization ,London (1975)p 25

(1) ـ

(2) عام الشهداء : أو عصر الشهداء ,وهو عصر الإمبراطور دقلديانوس الذي تطرف في قمع اتباع الديانة المسيحية , حيث اصدر عدة مراسيم تمنع قيامهم بالصلاة وأمر بهدم كنائسهم وأحرق كتبهم وحبس قساوستهم وطردهم نهائياً من الوظائف الحكومية إلى غيرها من الاجراءات المشددة التي جعلت المسيحيين يطلقون على هذه الفترة وتاريخ بداية حكم الإمبراطور دقلديانوس بعصر الشهداء , (حتى أن المسيحيين الأقباط يؤرخون به تاريخهم). سعيد عبدالفتاح عاشور : تاريخ أوروبا العصور الوسطى , مكتبة الانجلو المصرية , (1986) , ص52

(2) – اسحق عبيد تاوضروس : الإمبراطورية الرومانية , القاهرة (1972) ص52

(3) خليفة بن ناصر , صلاح الحيدري : الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها , منشورات جامعة درنه , ليبيا (2002)ص29

الاعتراف بالمسيحية زمن الإمبراطور قسطنطين الأول

لاشك أن تحول الإمبراطورية البيزنطية إلى المسيحية كان عاملاً هاما وفعالا , حيث أصبح على الإمبراطورية في مطلع القرن الرابع الميلادي , أن تختار أحد طريقين في علاقتها بالمسيحيين إما أن تسير قدماً في سياستها التعسفية التي انتهجتها على مدى ثلاثة قرون تجاه الجماعات المسيحية , والتي اثبتت فشلها في القضاء على الديانة المسيحية , وإما أن تفتح ذراعيها لتحتوي العقيدة الجديدة وتستفيد من جهود معتنقيها، وهذا هو الطريق الذي سلكه الإمبراطور قسطنطين . [4]

ولد الإمبراطور قسطنطين Constantine سنة (274م) وكان أبوه قسطنطيوس خلوروس الذي يعتنق الوثنية يشغل منصب قيصر في الجزء الغربي من الإمبراطورية البيزنطية ,وأمه هيلينا Helena التي صارت فيما بعد القديسة هيلانةSaint Helana, وهي التي أرسلها قسطنطين إلى بيت المقدس حيث عثرت على لوح الصليب ,الذي صلب عليه السيد المسيح مثلما هو شائع بين المؤرخين والرحالة والقديسين في العصور الوسطى .[5]

عندما اعتلى قسطنطين العرش البيزنطي عام (306-337م) كانت الديانة المسيحية قد تغلغلت في الإمبراطورية منذ حوالي ثلاثة قرون تقريباً, وقد حاول بعض الأباطرة الذين سبقوا الإمبراطور قسطنطين ,القضاء على هذه الديانة بالعنف والدم مثلما فعل الإمبراطور دقلديانوس الذي عرف عصره بعصر الاضطهاد أو عصر (الشهداء) . [6]

كما كان تعصب جاليريوس (أحد الأباطرة الأربعة في عهد الإمبراطور دقلديانوس) ضد المسيحيين واضطهاده لهم خاصة بعد تنازل دقلديانوس وتوليه الحكم والذي لم يستمر طويلا ترك في نفس قسطنطين أثراً سيئا, سيما وأن جاليريوس ما لبث أن نازع قسطنطيوس (والد الإمبراطور قسطنطين) السلطة وأظهر شعوراً غير ودي نحو قسطنطين , ولما توفي جاليريوس سنة (311م) أثر مرض طويل أُعتبر ذلك جزاء له على موقفه من المسيحية اقتنع قسطنطين بقوة المسيحيين على الأرض وبدأ يفكر جدياً في تغيير سياسته تجاه اتباع العقيدة الجديدة , على الرغم من أنه تعلق منذ البداية بعبادة إله الشمس SOL ,واعتبره الإله الذي يحمي الإمبراطورية ويرعاه هو شخصيا .[1]

ولابد أن مصير عدو المسيحية جاليريوس كان له تأثير على تفكير قسطنطين وعقليته , ويتضح ذلك من امتناع قسطنطين عن الاضطهاد الديني للمسيحيين في الشطر الغربي من الإمبراطورية ولعله فطن لقوة إله المسيحيين على ماكان مألوفاً وقت ذاك من القصص عن القوة الخارقة . [2]

على الرغم من أن المسيحيين لم يكونوا عند المناداة بقسطنطين إمبراطوراً سنة 306م سوى أقلية صغيرة بين سكان الإمبراطورية , حرمهم الاضطهاد من الاشتراك في الوظائف والخدمات

(4) هسي . ج. م : العالم البيزنطي ,ترجمة رأفت عبد الحميد الشيخ ,عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية , القاهرة (1970) , ص22
(5) أسحق عبيد تاوضروس : قصة عثور القديسة هيلانة على خشب الصليب, أسطورة أم واقع ,مجلة الجمعية التاريخية المصرية ,المجلد 17القاهرة(1970) ص 5-21
(6) محمود سعيد عمران : حضارة الإمبراطورية البيزنطية ,دار المعرفة الجامعية ,(2007) ص25
(1) محمد محمد مرسي الشيخ : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية,ص15
(2) الباز العريني , تاريخ أوربا العصور الوسطى , ص70

الاعتراف بالمسيحية زمن الإمبراطور قسطنطين الأول

العامة بالإمبراطورية وكانت ديانتهم محاربة , فإن قسطنطين حرص على أن يقيم مستقبل روما على هذه العقيدة وكان لذلك أكبر الأثر على مستوى تاريخ العالم .[3]

بدأ الإمبراطور قسطنطين سياسته الجديدة مع المسيحيين بأن حرم اضطهادهم في الشطر الغربي من الإمبراطورية , فأعطى مسيحي ذلك الجزء قدراً من الآمان , وفي نفس الوقت ترك لنفسه فسحة من الوقت يقرر فيها الخطوة الأخرى التي سوف يقدم عليها , أذا تأكد بصفة قاطعة من قدرة إله المسيحيين على منحه النصر على أعدائه وخصمه ما كسنتيوس ,فقد تعلق قسطنطين برؤية اقتنع بفضلها أنه سوف ينتصر على خصومه في ضل شعار المسيح .[4]

وإذ غدا الإمبراطور قسطنطين يعتقد في إله المسيحيين , فإنه كان يؤمن أيضا بإله الشمس SOL القهار , لهذا انتهج كثيرا من التسامح تجاه المسيحيين في الوقت الذي احتفظ فيه لنفسه بمنصب الكاهن الأعظم Pontifex Maximus , وهو المنصب الإمبراطوري في الديانة الرومانية الوثنية، كما أن العملة التي سكها الإمبراطور في عهده حملت على وجه منها علامة الصليب , وعلى الوجه الآخر شعار عبادة الشمس .[5]

مرسوم ميلان :

إن أهم عمل قام به قسطنطين في ذلك هو إصدار مرسوم ميلان سنة 313م بعد انتصاره على منافسيه في موقعة ميلفيان Milvian سنة 313م الذي اعترف فيه بالمسيحية كإحدى الديانات المصرح بها ومصرح بممارسة شعائرها في الإمبراطورية مثلها في ذلك مثل الوثنية واليهودية وقد راج حول مرسوم ميلان وما استتبعه الإمبراطور من تشريعات أراء كثيرة حتى قيل أن الإمبراطور قسطنطين كان مسيحياً صادق العقيدة وأن ما فعله من أجل المسيحية لا يصدر إلا عن مسيحي راسخ الإيمان بينما قيل أيضا أن المصالح السياسية هي التي أملت عليه اتخاذ هذه الخطوة وأنه لم يكن قط مسيحياً [1]

وواقع الأمر أن الإمبراطور قسطنطين لم ينفرد بإصدار هذا المرسوم بل شاركه في مسؤوليته شريكه في الحكم على النظام الرباعي زمن دقلديانوس الأغسطس ليسينوس , على أنه قانون أساسي من قوانين العالم البيزنطي ,وفي هذا المرسوم :

((عندما تقابلنا نحن أوغسطس قسطنطين وأوغسطس ليسينوس في ميلان مكللين بالرعاية والعناية أخذنا نبحث في جميع الوسائل الخاصة بصالح رعايانا ومن هذه المسائل التي تهم الكثيرين مسألة حرية العقيدة لذلك قررنا إصدار مرسوم يضمن للمسيحيين وكافة الطوائف الأخرى حرية اختيار وممارسة العقيدة التي يرتضونها وبذلك نضمن رضاء جميع الآلهة والقوى السماوية علينا , كما نضمن رضاء جميع رعايانا وهكذا قررنا عن ثبات وتعقل الا يحرم أي فرد كائنا من كان من

---

(3) الباز العريني : تاريخ أوربا العصور الوسطى , ص69
(4) محمد محمد مرسي الشيخ : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ص15
/p16. Rice , C. T ; The Byzantines . London(1916)
Cambiridge Medieval History , VOL.I , Cambridge (1924), p5
(5)_
Cambridge ; Medieval History , p10-11
(1)

اختيار المسيحية ديانة له ولكل فرد الحرية في اختيار الدين الذي يناسبه , وبذلك نضمن استمرار تأييد الرب لنا بنفس الكرم والقوة اللذين تعودناهما منه .....وهذا المرسوم الذي صدر من فيض كرمنا يجب أن يذاع على الجميع)) [2]

ومهما يكن من أمر فإن هدف الإمبراطور قسطنطين بميله نحو المسيحية ظل غير واضح الأسباب إلى نهاية حياته فلعله كان مسيحياً حقاً ولم يعلن عقيدته منذ البداية لظروف سياسة كان يراها أو لعظم قوة الأرستقراطية الوثنية في الإدارة والجيش في ذلك الوقت أو لقلة المسيحيين الذين لم يتجاوز عددهم حينئذ خمس سكان الإمبراطورية . [3]

وربما كان ما قدمه قسطنطين من أجل المسيحية متظاهراً بأنه رائد التسامح الديني في عصر كان يطفح بالتعصب والهمجية , ولعله لم يكن مسيحياً أيضا نظراً لاحتفاظه بلقب الكاهن الأعظم لإله الشمس وسماحه للوثنيين بممارسة شعائرهم جنبا إلى جنب مع المسيحية, فضلا عن أنه أتى في حياته من الأفعال ما يتنافى مع كونه مسيحياً ومن ذلك قتله لزوجته وولده .[4]

والواقع ومن خلال المرسوم وأعمال قسطنطين أن هناك تدرج بطيء انتهى بإعلان الإمبراطور قسطنطين نفسه حامياً للمسيحية والاديان الأخرى فلقد كان من الشاق عليه أن يمحو من ذهنه ما تلقنه من عادات ومعتقدات وثنية وأن يؤمن بالديانة المسيحية ويعلن ذلك بين يوم وليلة لقد وازن قسطنطين دائما بين آمال رعاياه وبين مخاوفهم ومن ذلك أنه كان يصدر مرسومين في وقت واحد الأول ينص على الاهتمام الشديد بيوم الأحد وفي ذلك نصر للمسيحيين والثاني يحض على استشارة العرافين وفي ذلك نصر للوثنية , ولاشك أن مثل هذا الأمور جعلت الرعايا من مسيحيين ووثنيين يرقبون سلوك إمبراطورهما بنفس القدر من القلق.[1]

الصليب وحروب قسطنطين:

انتصر قسطنطين على خصمه في الغرب مكسنتيوس في معركة Milivan سنة 312م بالقرب من مدينة روما ليصبح إمبراطوراً على النصف الغربي للإمبراطورية , وفي هذه السنة أعلن قسطنطين على لسان متحدثه الرسمي إيوزبيوس Eusebius أنه صلى للرب المسيحي قبيل المعركة , وأنه تلقى تعليمات أثناء عبوره جبال الألب لملاقاة خصمه مكسنتيوس بأن يضع شارة الصليب على دروع جنوده كي تجلب له النصر, بل إن المؤرخ اللاتيني لاكتانتيوس Lactantius يؤكدان أن قسطنطين رأى المسيح في منامه الذي أخبره بأنه سوف ينتصر إن هو آمن به ,وأنه قسطنطين شاهد هو وجنوده صليباً يتلألأ في السماء وتحته عبارة بأحرف تشع نور تقول (بهذه الشارة سوف تنتصر Tou tw vika) مما أشاع الحماس في صفوف الجنود ليحققوا هذا النصر بقوة هذا الصليب .[2]

---

(2) – محمود سعيد عمران : معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ,دار المعرفة الجامعية ,الإسكندرية (2007) ص39
Bury,J.B : History of the Later Roman Empire 2Vols ,London (1923), p 366

(3)

(4) – محمد محمد مرسي الشيخ : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية , ص18

(1)- محمود سعيد عمران : تاريخ أوروبا , ص41
Jones ,A.H.M :Constantine and the conversion of Europe ,Penguim P76

(2) (1972)

وبالفعل سارع الإمبراطور قسطنطين باستدعاء أرباب الحرف والصناع وأمرهم أن يصنعوا له شارة الصليب كما رآها وأوصاهم أن تكون من الذهب والأحجارالكريمة لتوضع على رأس كل جندي من جيشه [3] وأوصى ضباطه أن تصنع حربة طويلة على هيئة الصليب تتدلى من قمتها قطعة من حرير مطرزة بالذهب والأحجار الكريمة وتحمل صورة قسطنطين وولديه وفي قمة الصليب إكليل يحيط بصورة المسيح , وقد عرف ذلك العلم باسم لاباروم Labarum الذي صار منذ ذلك الوقت علم الإمبراطورية البيزنطية [4].

الصليب بين الاعتقاد الديني والتوظيف السياسي والعسكري:

يبدو أن هذه الروايات التي طرحها المؤرخون المعاصرون من أمثال لاكتانتيوس وايوزبيوس لم تلق من المؤرخين والباحثين المحدثين قبولاً خاصة أن هذه الروايات كتبت في زمن قسطنطين أو بعد وفاته مباشرة مما يعكس الحالة الوجدانية التي سيطرت على كتباتهم في مرحلة كان أهم معالمها اعتراف قسطنطين بالمسيحية ليصبح إمبراطور مفوض من المسيح في الحكم , وهي نظرية فرضت نفسها فيما بعد في الحياة السياسية , وعرفت بالقيصرية - البابوية Caesoro Papism والتي تنادي بأن الإمبراطور هو نائب الله على الأرض .[5]

حيث يرى بعض الباحثين أن الإمبراطور قسطنطين رغم إخلاصه وتعاطفه مع الديانة المسيحية فإنه لم يكن واعياً بأهمية التعبير عن الإخلاص بطريقة صحيحة , خاصة فيما تبين في سك العملة البيزنطية التي كانت تتغير سنوياً الأمر الذي دعا أحد الباحثين بوصف قسطنطين بنصف المتعلم الذي يخلط بين الديانات [1] أما المؤرخ جونز Jones فيرى أن قسطنطين رأى في منامه ظاهرة كونية أشبه بقوس قزح , نتيجة سقوط كرات الثلج خلال أشعة الشمس التي هي إلهه ومعبوده وبدت الصورة أمامه وكأن الشمس تعانق الصليب ولأن المسيح هو سيد الصليب , فقد أراد قسطنطين أن يحقق سيادته على هذا الكون من خلال رواية خيالية ترضي أهواء المسيحيين ومن ثم تحول الصليب من شارة في السماء إلى صليب مادي يضعه الجنود فوق رؤوسهم وعلى دروعهم أثناء القتال .[2]

ومن المعروف أن الإمبراطور قسطنطين عندما اختار يوم الأحد عيداً اسبوعياً في الإمبراطورية البيزنطية أطلق عليه يوم الشمس [3] ولما اختار الصليب شعاراً لجنوده كان يعلم أن غالبية هؤلاء الجنود وثنيون ولم يتحولوا إلى المسيحية بعد فكان الصليب في صورة ترضي أهواء الوثنيين كذلك ضم شعاره الحرفين الأولين من اسم المسيح في اللغة اليونانية وهما (Xالخي) و(Pالرو)

---

(3) – خليفة بن ناصر وصلاح هادي الحيدري :الموجز في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها , ص31
Vasilie,A . A : History of the Byzantine Empire , Wisconsin (1973), p50

(4)

(5)- رأفت عبد الحميد الشيخ محمد : الدولة والكنيسة , ج2 , دار المعارف ,القاهرة (1982) ص95-96

(1)- نورمان كانتور : التاريخ الوسيط ,ترجمة قاسم عبده قاسم ,دار عين , القاهرة (2000) ص64-65
Jones :Constantine , p96-102

(2)

(3)- علاء طه رزق: قضايا من تاريخ العصور الوسطى ,عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ,القاهرة(2014) ص15

الاعتراف بالمسيحية زمن الإمبراطور قسطنطين الأول

أي خريستوس Christos وبذلك تألف حول هذا الشعار المسيحي جموع المتدينين من اتباع الصليب واتباع الشمس في آن واحد .[4]

ويقول المؤرخ وول ديورانت (هل كان قسطنطين حين تحول إلى المسيحية مخلصاً حقاً ؟ وهل أقدم عليها عن عقيدة دينية أم حنكة سياسية ؟ أكبر الظن أن الرأي الأخير هو الصواب لقد أحاط قسطنطين نفسه في بلاطه ببلاد غالة بالعلماء والفلاسفة الوثنيين وقلما كان بعد تحوله إلى المسيحية يخضع لما تتطلبه العبادة المسيحية من شعائر وطقوس) [5]

استكمالاً لهذه القضية نضع سؤالاً ما هي الدوافع التي دفعت قسطنطين إلى الاعتراف بالمسيحية ؟ اختلفت الآراء حول هذه الدوافع , فالبعض يرى أن قسطنطين اعترف بها عن اقتناع وعن ايمان وحجتهم في ذلك منبثقة من تعامل قسطنطين مع المسيحيين ومن ذلك بناء العديد من الكنائس والرأي المضاد يعتمد على تصرفات قسطنطين تجاه الوثنية التي لاتقل عن ما قدمه للمسيحيين ويرى فريق ثالث أن اعتراف قسطنطين بالمسيحية مرجعه الدوافع السياسية وعلى رأس هذه المجموعة هنري جريجوار الذي يقول عن فترة حكم قسطنطين من كان يريد الشرق فعليه أن يكون مسيحياً أو صديقاً للمسيحيين ولم يستطيع قسطنطين أن يسيطر على الشرق وهو الجزء الغني من الإمبراطورية برجاله وموارده إلا بمهادنة المسيحيين , خاصة في الوقت التي اصبحت العناصر الجرمانية تتحرك نحو العاصمة روما .[6]

الجدير بالذكر أن قسطنطين لم ينل قدراً كبيراً من التعليم ولم يكن مُلماً بطقوس الديانة المسيحية حتى أنه لم يعمد إلا على فراش الموت على يد أسقف آريوسي ومع هذا تصرف في الأمور الدينية باعتباره (أسقف) وكان يرأس المجامع المسكونية مثل مجمع نيقيا في سنة 325م [1] والذي فرض فيه نظرية على الفرق المسيحية في محاولة منه للتوفيق بين المذاهب الدينية بعد شروعه في تأسيس العاصمة الجديدة القسطنطنية على ضفاف البسفور كبديل للعاصمة القديمة روما .[2]

لقد كان المؤرخ أيوزبيوس أسقف قيسارية ومستشار الإمبراطور حريصاً على تصوير كافة الانجازات التي قام بها الإمبراطور قسطنطين بدءاً من انتصاره الذي حققه على خصومه سنة 312م واعترافه بالمسيحية في سنة 313م , ومروراً بمجمع نيقيا سنة 325م وانتهاء بتدشين العاصمة الجديدة في سنة 330م في إطار الرؤى والأحلام المقدسة التي يتلقى فيها التعليمات من السيد المسيح الرب , وهو يحمل الصليب المقدس الذي يذلل له الصعوبات ويحقق له المعجزات مما جعل قسطنطين يرى الصليب رمزاً دينياً لصفقة سياسية . [3]

---

(4) - علاء طه رزق : قضايا من تاريخ العصور الوسطى ,ص15

(5)- وول ديورانت : قصة الحضارة , ترجمة محمد بدران ,ج3 ,القاهرة (1964) ص387

(6) – محمود سعيد عمران : تاريخ أوروبا العصور الوسطى , ص41-42

(1)- كان أول مجمع مسكوني عالمي في تاريخ الكنيسة وحضره 300 مسيحي من الشرق والغرب ويرأسه الإمبراطور قسطنطين , الذي انتهى بإدانة أريوس السكندري ونفية إلى الليريا بسبب رأية أن طبيعة المسيح إنسان وليس إله . سعيد عبد الفتاح عاشور :أوربا في العصور الوسطى ,ج1, مكتبة الأنجلو المصرية , القاهرة (1996) , ص57-59

(2) علاء طه رزق : قضايا من تاريخ العصور الوسطى ,16

(3) علاء طه رزق : قضايا من تاريخ العصور الوسطى , ص16

الاعتراف بالمسيحية زمن الإمبراطور قسطنطين الأول

والروايات التي سردها أيوزبيوس مؤداها أن الإمبراطور انتصر في معاركه الحربية بفضل ((الصليب)) الذي رآه في منامه عشية زحفه لملاقاة خصومه – تؤكد لنا طبيعة العلاقة بين العقيدة المسيحية في نفوس الذين أمنوا بهذه الديانة الجديدة وبين هذا الشعار الديني الذي اتخذه قسطنطين في القرن الرابع وسيلة لتبرير كافة أفعاله السياسية والعسكرية، وهو ما ساعد على انتشار المسيحية وازدياد نفوذ رجال الكنيسة في القرنين الرابع والخامس الميلاديين.[4]

ويتفق العديد من الباحثين الأوربيين[5] على حنكة وفطنة قسطنطين السياسية ونجاحه في توظيف الشعار المسيحي والشعور الديني في تحقيق أهدافه والموائمة بين الدولة الوثنية والكنيسة المسيحية في القرن الرابع الميلادي من خلال مرسومه الشهير [6] والرأي أن قسطنطين لم يكن جاهلاً أو مشوشاً أو أنه لم ينل من العلم إلا القدر الضئيل بحيث يخلط بين الأديان مثلما حاول كثير من المؤرخين الأوربيين أن يصفوه أو يصوروه وإنما كان ذا حكمة سياسية منذ أن انفرد بحكم الجزء الغربي من الإمبراطورية البيزنطية وفي كل تحركاته وانجازاته التي انجزها وانتهاءً بوفاته وتناوله سر المعمودية على فراش الموت بيد أسقف أريوسي , مما يعني أنه عاش كاهناً ومات أسقفاً [7]

لم يكن قسطنطين عندما ادعى رؤية الصليب متوهجاً في السماء غافلاً عن حقيقة أن نجم الوثنية إلى زوال , وأن الصليب الذي رأه يوحي إليه بأن سلطان الكنيسة قادم , ومن ثم يمكن القول بأن تحول قسطنطين عن الوثنية في اتجاه المسيحية كان تحولاً سياسياً عقيدياً و عليه إن التوظيف السياسي للصليب كان بدعة ابتدعها الإمبراطور قسطنطين في القرن الرابع الميلادي بإيحاء من مستشاره ومؤرخ تاريخه أيوزبيوس الذي كان يرسم له تحركاته وأسلوب تعامله مع الكنيسة والوثنية وغيرها [1].

وهكذا نجح الإمبراطور قسطنطين منذ اعترافه بالمسيحية في التأصيل لفكرة قداسة الصليب وما يرتبط بهذه القداسة من معجزات حتى صار (الصليب) عنواناً مقدساً لكل الكنائس والأديرة والأبرشيات على مر العصور وسمة مميزة لكتابات مؤرخي الحروب الصليبية , حتى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي [2].

وفي تصورنا إن التوظيف السياسي للصليب بدعة سنها قسطنطين في القرن الرابع الميلادي بإيحاء من مستشاره الأسقفي أيوزبيوس وبذلك سار التوظيف الديني للصليب موازياً مع التوظيف السياسي لهذا الشعار المسيحي منذ زمن الاعتراف الأول بالديانة المسيحية في القرن الرابع الميلادي وحتى زمن الحروب الصليبية (1095- 1291م) التي اتخذت من الصليب شعاراً لحملاتها على الشرق الإسلامي .

---

(4) Vasilieve : Histoire de L, Empire Byzauntine. Pp 58 -65

(5) وول ديورانت : قصة الحضارة ,ج3, ص387 / فيشر تاريخ أوروبا العصور الوسطى ,ترجمة السيد الباز العريني ,ج1 , دار المعارف , القاهرة (د,ت) ص6-7 / بينز نورمان : الإمبراطورية البيزنطية , ترجمة حسين مؤنس ومحمود زايد ,ص15

(6) – فشر : اوروبا في العصور الوسطى , ص7

Thompson. J. W : History of the Middle Ages 300-1500 , London,1931 ,p 24-28

(7)

(7)- علا طه رزق : قضايا من تاريخ العصور الوسطى , 15

(1) علا طه رزق : قضايا من تاريخ العصور الوسطى ,ص 22

الاعتراف بالمسيحية زمن الإمبراطور قسطنطين الأول

الخاتمة

- عانت المسيحية وأتباعها الكثير من الاضطهاد والتعذيب بتشجيع من الاباطرة الرومان خاصة في عهد الإمبراطور دقلديانوس (284-305م) حتى أن عام 284م سمي بعام الشهداء لشدة ما اتخذ من إجراءات صارمة بحق المسيحيين.

- من خلال اصدار مرسوم ميلان الذي اصدره قسطنطين وشريكه في الحكم ليسنيوس أنه كان هناك تدرج بطيء في التقرب للمسيحيين انتهى بإعلان الإمبراطور قسطنطين نفسه حامياً للمسيحية والاديان الأخرى .

- لم يكن قسطنطين عندما ادعى رؤية الصليب متوهجاً في السماء غافلاً عن حقيقة أن نجم الوثنية إلى زوال , وأن الصليب الذي رأه يوحي إليه بأن سلطان الكنيسة قادم , ومن ثم يمكن القول بأن تحول قسطنطين عن الوثنية في اتجاه المسيحية كان تحولاً سياسياً عقدياً

- نجح الإمبراطور قسطنطين منذ اعترافه بالمسيحية في التأصيل لفكرة قداسة الصليب وما يرتبط بهذه القداسة من معجزات حتى صار (الصليب) عنواناً مقدساً لكل الكنائس والأديرة والأبرشيات على مر العصور

- يؤكد بعض الباحثين إن الإمبراطور قسطنطين لم ينل قدراً كبيرا من التعليم في حياته , ولم يكن مُلماً بطقوس الديانة المسيحية حتى أنه لم يعمد إلا على فراش الموت على يد أسقف آريوسي ومع هذا تصرف في الأمور الدينية باعتباره (أسقف) وكان يرأس المجامع المسكونية مثل مجمع نيقيا في سنة 325م

- إن التوظيف السياسي والعسكري للصليب بدعة سنها قسطنطين في القرن الرابع الميلادي بإيحاء من مستشاره الأسقفي أيوزبيوس , وبذلك سار التوظيف الديني للصليب موازياً مع التوظيف السياسي لهذا الشعار المسيحي منذ زمن الاعتراف الأول بالديانة المسيحية في القرن الرابع الميلادي ,وحتى زمن الحروب الصليبية التي اتخذت من الصليب شعاراً لحملاتها على الشرق الإسلامي .

الاعتراف بالمسيحية زمن الإمبراطور قسطنطين الأول

أولاً : المراجع العربية:

- الباز العريني (1968): تاريخ أوربا العصور الوسطى , دار النهضة العربية , بيروت
- اسحق عبيد تاوضروس (1972) : الإمبراطورية الرومانية , القاهرة
- أسحق عبيد تاوضروس (1970): قصة عثور القديسة هيلانة على خشب الصليب, أسطورة أم واقع ,مجلة الجمعية التاريخية المصرية ,المجلد 17القاهرة
- خليفة بن ناصر , صلاح الحيدري (2002) : الموجز في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها , منشورات جامعة درنه , ليبيا
رأفت عبد الحميد الشيخ محمد(1982) : الدولة والكنيسة , ج2 , دار المعارف ,القاهرة
- محمود سعيد عمران (2007): حضارة الإمبراطورية البيزنطية ,دار المعرفة الجامعية , -محمود سعيد عمران (2007): معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ,دار المعرفة الجامعية ,الإسكندرية
- محمد محمد مرسي الشيخ (1997): تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ,كلية الآداب جامعة الإسكندرية
- هسي . ج. م (1970): العالم البيزنطي ,ترجمة رأفت عبد الحميد الشيخ ,عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية , القاهرة
- نورمان كانتور (2000): التاريخ الوسيط ,ترجمة قاسم عبده قاسم ,دار عين , القاهرة
علاء طه رزق(2014) : قضايا من تاريخ العصور الوسطى ,عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ,القاهرة
- وول ديورانت (1964): قصة الحضارة , ترجمة محمد بدران ,ج3 ,القاهرة
- سعيد عبد الفتاح عاشور(1996) :أوربا في العصور الوسطى ,ج1, مكتبة الأنجلو المصرية , القاهرة
فيشر : تاريخ أوروبا العصور الوسطى ,ترجمة السيد الباز العريني ,ج1 , دار المعارف , القاهرة
بينز نورمان : الإمبراطورية البيزنطية , ترجمة حسين مؤنس ومحمود زايد

ثانياً : المصادر والمراجع الاجنبية :

Bury,J.B : History of the Later Roman Empire 2Vols ,London (1923-

الاعتراف بالمسيحية زمن الإمبراطور قسطنطين الأول

Cambiridge: Medieval History , VOL.I , Cambridge (1924)

-

Jones ,A.H.M :Constantine and the conversion of Europe Penguim, 1972

- Runciman : Byzantine Civilization , London
(1975)
Rice , C. T ; The Byzantines .
London.

Thompson. J. W : History of the Middle Ages 300-1500 ,
London, (1931 ( )

) Vasilie ,A . A : History of the Byzantine Empire , Wisconsin (1973